فنون وعلوم / صوت وصورة

تشكيل

حسكو حسكو.. وحوش الشاطئ

محمد شرف 2016-05-18 AM 01:28

نشر هذا المقال في جريدة السفير بتاريخ 2016-05-18 على الصفحة رقم 12 – صوت وصورة

لم يعد الإطلاع على نتاج الفنانين السوريين في بلدنا، وفي العاصمة بيروت تحديداً، مسألة عابرة. شهدنا في الآونة الأخيرة معارض كثيرة لفنانين من البلد المجاور لبلدنا، الذي يعيش ظروفاً غير عادية تدفع العاملين في مجال التشكيل لعرض نتاجهم في صالاتنا. هذه العبارة حول مرارة الظرف وتعقيداته صرنا نذكرها في كل حين وكل مناسبة، ونتمنى أن نتوقف عن ترددها في وقت قريب، ونحن عارفون، أنه، للأسف، لا يد لنا ولا حيلة في وقف هذا النزف المؤلم.

يعرض الفنان السوري الكردي **حسكو حسكو** مجموعة من لوحاته لدى غاليري «فن في 56». ليست هي المرة الأولى التي يُقدّم فيها نتاجه لدى الغاليري المذكورة، كما ينبغي الإشارة إلى أن أعماله كانت عُرضت سابقاً في أكثر من مكان، وخصوصاً في سوريا ولبنان وبلاد عربية أخرى، إضافة إلى الولايات المتحدة الأميركية. وإذا كنا تطرقنا، أعلاه، إلى مسألة الأزمة السورية، وما أدّت وتؤدي إليه، فمن المفيد أن نذكر أن **حسكو** كان عانى شخصياً من نتائجها بعدما انتقل من سوريا إلى تركياً، ثم سافر على متن قارب نجاة عبر البحر المتوسط قاصداً أوروبا، كما فعل سواه ممن آثروا اللجوء في بلاد الغرب على البقاء في أرض مجهولة المصير، ليستقر حالياً في الدانمارك حيث يعيش ويعمل.

ربما كان ذاك العمل المعلّق على جدار الغاليري، الذي يتوسطه الأزرق العكر، ويحدّه من الأعلى والأسفل شاطئان، تمثيلاً اصطلاحياً للمغامرة البحرية التي خاضها **حسكو** وسواه، ودفع البعض، وهم كثر، حياتهم ثمناً لمحاولة عبور البحر في زورق بائس. على أن الشاطئين المذكورين تجول عليهما حيوانات برّية، يدلّ مظهرها على كونها وحشيّة الطبع، وكأن الفنان شاء أن يقول، بحسب ما نخمّن، أن الوحوش موجودة في كل جهة، ولو أن الوحش الكامن في الجهة الأخرى قد يكون وحش الفراق والغربة. هذه الوحوش والحيوانات الأخرى، والكائنات الغامضة الهوية، والأشكال الحرّة، يمكن رصدها في أعمال عديدة لدى**حسكو**، فهي، وبحسب ما يقول: «أرسم الأشكال بدون أي قدسية للفكر التراكمي البشري وأترك الشكل يعبّر عن نفسه بشكل غريزي». عليه، فإن حضور الكائنات، التي تكون في معظم الأحيان ذات أحجام صغيرة قياساً إلى المساحة التشكيلية العامة،غير خاضع لمنطق تمثيلي كلاسيكي، بقدر ما يتحدر من اتجاه ذاتي لدى الصانع يهدف إلى تحرير الأشكال من قواعد المحاكاة، وردها إلى توجه غريزي يقترب من طبيعة الكائنات البيولوجية نفسها.

وإذا كانت هذه العناصر الحيوانية لا تتمتع، من حيث الأساس، بجمالية التكوين، فإن الفنان يحاول من خلال أعماله أن يضفي عليها قيمة إبداعية، تاركاً للمتلقي مساحة للتخيّل والتأمل، وحتى البحث عن الرمز الكامن وراء القرار التشكيلي الذاتي. لكن هذا الكلام لا ينفي وجود شجرة تقترب، في تمثيلها، من الواقع الموضوعي وتكتسب بعداً بصرياً خاصاً، علماً أن حجم جزعها لايتناسب مع طبيعة أوراقها أو «ثمارها» الأقرب إلى الزهور. يُخيّل إلينا أن تلك الثمار- الزهور تنبئ أن الجمال باق، على الرغم من السلاح المتبعثر والطائرات المحلّقة في السماء في عمل آخر معلّق على جدران صالة العرض، يبدو أن **حسكو** كان استلهم في تأليفه وطبيعته اللونية (كما في أعمال أخرى) بعضاً من شاغال وبعضاً آخر من كاندينسكي. وفي كل الأحوال، يعتبر **حسكو** أن الرسم بحرية يجعل الأشكال أكثر جمالاً وصدقاً، وهو يحاول «إظهار أكبر قدر ممكن من الجمال من أجل مقاومة ذاك الكم الهائل من البشاعة في سنوات الآلام الخمس»، وهي السنوات، أو الحقبة التي تمنينا أن تنتهي بأسرع وقت في بداية حديثنا.

([]يستمر المعرض حتى 23 أيار في غاليري «فن في 56» - شارع يوسف حايك، الجمّيزة